ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Rese. Sahar Khalif Sakhi

Prof. Dr. Saadoun Abdul Hadi Barghash

University of Wasit / College of Education for Humanities

Email:
Sahar.kh@uowasit.edu.iq
sburghish@uowasit.edu.iq

Keywords:

Divine Authority, Religious Tyranny, Mythology, Gods and Kings, Divine Punishment

CC BY

A r t i c l e i n f o

Article history:

Received 5.Apr.2024

Accepted 12.Jun.2024

Published 25.Feb.2025

Divine Tyranny Against Humans in Ancient Egyptian History

A B S T R A C T

Religion played a fundamental role in the daily life of ancient Egyptians, shaping their social and political structures. The deification of kings and the belief in divine will significantly influenced governance, justice, and societal order. Ancient Egyptian theology often portrayed gods as omnipotent beings, exerting absolute control over human destiny. This study explores the concept of divine tyranny in ancient Egypt, examining how gods were perceived as both protectors and enforcers of cosmic balance. The research delves into mythological narratives, historical accounts, and religious texts to highlight instances where deities exercised dominance over humanity. Furthermore, it analyzes the consequences of divine authority, including rituals, punishments, and the fear-driven devotion of the people. The study aims to provide a nuanced understanding of the relationship between gods and humans, emphasizing the impact of religious beliefs on governance and social structures in ancient Egypt.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol58.Iss2.4280

الاستبداد الاله ضد البشر في تاريخ مصر القديمة

الباحثة: سحر خليف صخي أ.د. سعدون عبد الهادي برغش

جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص

لعب الدين دورًا أساسيًا في الحياة اليومية للمصريين القدماء، حيث شكل هياكلهم الاجتماعية والسياسية. وقد أثر تأليه الملوك والإيمان بالإرادة الإلهية بشكل كبير على الحكم والعدالة والنظام المجتمعي. غالبًا ما صور اللاهوت المصري القديم الآلهة ككائنات قادرة على كل شيء، تمارس سيطرة مطلقة على مصير الإنسان. تستكشف هذه الدراسة مفهوم

الطغيان الإلهي في مصر القديمة، وتفحص كيف كان يُنظر إلى الآلهة على أنهم حماة ومنفذون للتوازن الكوني. يتعمق البحث في السرديات الأسطورية والروايات التاريخية والنصوص الدينية لتسليط الضوء على الحالات التي مارس فيها الآلهة الهيمنة على البشرية. علاوة على ذلك، يحلل عواقب السلطة الإلهية، بما في ذلك الطقوس والعقوبات والتفاني المدفوع بالخوف من قبل الناس. تهدف الدراسة إلى توفير فهم دقيق للعلاقة بين الآلهة والبشر، مع التركيز على تأثير المعتقدات الدينية على الحكم والهياكل الاجتماعية في مصر القديمة.

الكلمات المفتاحية: السلطة الإلهية ، الطغيان الديني ، الأساطير ، الآلهة والملوك ، العقاب الإلهي

المقدمة

تعد قضية الدين أمراً أساسياً وجوهرياً في حياة الإنسان، وخاصة مع وجود الظواهر الطبيعية التي ترتبط بشكل مباشر بحياة الإنسان وسلامته، فإن فكرة وجود إله خالق وتعددية الآلهة كانت تفرض على الإنسان تماشياً مع هذه الظواهر واسترضاء ألآلهة التي كانت تتحكم في مصيره، وقد انتشرت هذه الفكرة في مختلف الشعوب بتقدمها أو تأخرها في الحضارة، ومن بين هذه الشعوب شعب مصر القديم (سمار،٢٠٢٠،ص١٩٧)

وتشكل الناحية الدينية من أهم الجوانب التي تأثرت بالحياة السياسية في التاريخ المصري، حيث كانت مصر مقسمة إلى أقاليم تأثرت حدودها الوهمية بالعواطف الدينية، وقد اعتمدت هذه الأقاليم أعلاما تمثل رموز الحيوانات أو النباتات التي تميزها عن بعضها البعض، وقد رمزت بعضها لأقدم الآلهة المصرية كما لم تكن الأقاليم مقسمة تقسيمًا إداريًا فحسب، بل كانت أيضًا مناطق نفوذ ديني، ولكنها لم تستقر على حال قبل اتحاد الأقاليم في مصر، كان سكان كل مدينة مستقلة يعتبرون إلههم الأعظم، وينسبون إليه خلق الكون لكن بعد الاتحاد، أصبح هناك إله عاصمة رسمي للإقليم، ومع ذلك، لم تقبل المدن المغلوبة على أمرها هذا التغيير، فارتبطت آلهة الأقاليم برباط عائلي على غرار رباط الأسرة، وثم حدث توحيد أوسع بين المدن لتصبح الأقاليم معا، وكان إله التوحيد مهيمناً على المعابد والآلهة الأخرى، حيث كان الانتصار الحربي يترتب على ذلك اله الدولة الرسمي، وهذه الفكرة استمرت في السيطرة الدينية في الدولة، حيث كان هناك آلهة محلية بالأقاليم يبنون لأجلها المعابد، بينما كان إله الدولة الرسمي ينال تقدير الملوك ويتمتع كهنته بالنفوذ والثروة (السعدي،١٩٩١، ص٢٧١)

هناك عاملان أساسيان في تشكل الدين المصري في البداية، وهما إرادة الفرد الزعيم والروابط المتغذية بالألوهية لهذه الإرادة مع تطور المجتمع في العصور القديمة، ظهرت الحاجة إلى العدالة كسمة أساسية يجب أن يوفرها الملك بين رعاياه. وبهذا، تحول شكل الدولة المصرية الأولى من مرجعية أبوية يتم توجيهها من قبل الزعيم الذي يعتبر إلهًا، إلى شكل دولة كونية بمرجعيتها الإلهية الدينية (الخفاجي،٢٠١٦، ص١١)

مشكلة الدراسة :

تعد مشكلة الدراسة في تركيز في الجانب الديني لآلهة مصر القديمة التي لعبت دوراً مؤثراً في تاريخ مصر القديمة، وقد اعتمد الشعب المصري والملوك بشكل رئيسي على آلهتهم في التوجيه في حياة اليومية، وعلى هذا الأساس لقد حقق المصرين القدماء أن يبنوا حضاراتهم الشامخة والتي حققت نجاحاً كبيرا في حياتهم اليومية،

كانت الأرض المصرية تُعتبر مملكة الآلهة المصرية والملك، وكان الملوك هم أبناء الإله رع وكانوا يحكمون بإرادته على الأرض. مصر نفسها كانت تُعتبر مملكة رع حيث ساد الملك رع وحكمه كأول حاكم للآلهة والبشر، وظهرت هذه الأسماء في الدولة القديمة، حيث رُبطت مصر بالمعبود حور كما سُميت بـ (حت– كا– بتاح) بمعنى (قرين بتاح)، وكان هذا الاسم

في الأصل لأحد أشهر معابد الإله بتاح في منف، يُعتقد أن الإنسان المصري القديم استخدم هذا الاسم ليطلقه على مصر بأكملها، وتم أيضًا تسمية هذه الأرض مكي كمت بمعنى الأرض السوداء المحروسة أو المحمية، مما يدل على عقيدة المصري القديم بأن مصر كانت تحميها الآلهة. وقد سُميت أيضًا إرت رع بمعنى (عين رع).(سمار،٢٠٢٠،ص١٩٩)

في نظر المصريين، يُعتَبَر التاريخ امتدادًا للأساطير، حيث تندمج الآلهة بلا انقطاع مع البشر، فإنّ مجتمع البشر هو تجسيد يومي لعمليــة الخلق، ونظام الكون يتجلى فيه على جميع المستويات. ومن خلال هذا المجتمع، يتم تشكيل الكون وفقًا للنمط المقصود، وهذا الأمر ترك بصماته على التحليلات المعاصرة المتعلقة بهذا المجتمع.(جريمال،١٩٩٣،ص٥٨)

تُظهر الوثائق ارتباطًا بين الرموز الحيوانية وبين مراحل الغزو المتعاقبة، ويُشير هذا الارتباط إلى اندماج الأسطورة في التاريخ مباشرة، وقد خلص العلماء إلى أن الشارات التي عاشت على امتداد الحضارة المصرية تعد رموزًا للمقاطعات التي تنقسم إليها البلاد، وتمتلك هذه الشارات أصولًا طوطمية ترجع إلى عصر ما قبل الأسرات، وهكذا ومن المغري حقاً أن ننظر إلى الأمر على أنه إشارة تعبّر عن اتحاد يضم وحدة جغرافية أو وحدة قبلية تتفرَّع حول أحد الأرباب، وعلى سبيل المثال، تعد السهمان والترس شارة الإلهة نيت في سايس، والصولجان والسيف شارة است في طيبة، ورُسِمت رفات رأس أوزيريس في أبيدوس لتكون شارة أخرى وتجسِّد هذه الشارات بنية سياسية، وبغض النظر عن الجماعة البشرية الأساسية توحَّدت حول طوطمها الذي يمثل القوة الإلهية المهيمنة على الصعيد المحلي، تفترض هذه المرحلة التكوينية وجود قصص خَلْق الكون، التي تعكِس مراتب القوة التي تم رصدها من خلال التجربة العملية وبعبارةٍ أخرى، يجب أن يكون هناك تشكُّلٌ لاتحاد الآلهة المحلية حول الإله الخالق، ويتكرَّر الأمر مع كل عائلة إلهية في عاصمة المقاطعة التي تُعبد فيها، وها هو مثالٌ آخر على تأسيس مقام الاتحاد في موقع مقدّس يُدلّ عليه الحرم الإلهي.(جريمال،١٩٩٣،ص٥٢)

استبداد الالهة ضد البشر :

بالرغم من أن البشر يعيشون في عالم لا يمكن رؤية الآلهة فيه، إلا أنها تؤثر فيهم بقوة وفعالية، وفي كل صباح عندما يفتح الكاهن المصري المقصورة المقدسة المغلقة بإحكام في حرم المعبد، تتملكه روعة الإله وعظمته؛ ويقول في ترتيله اليومي إلى (آمون– رع) ملك الآلهة :"**روعتك في جسدي، وعظمتك تعم أطرافي**" وتمثل (البراعة، والعظمة، محاولات للإشارة إلى التعبير المصري سنت snht وشفشت (ft) في لغة حديثة، ويمكن أن تعني كلمة سنت أيضا (الخوف) من شخص ما، في حين تعني كلمة شفشت (السلطة)، التي تحيط صاحب مقام رفيع .وحينما يري الكاهن تمثال الإله ، يحس بالقوة التي تنبعث من شخصيته ؛ وحينما يظهر الإله نفسه، يثبت نفس القوة في تألقه، وشذاه، وانفعاله، وأول إحساس يستحوذ على المصري الذي يقابل معبوداً أو رمز إله هو الخوف الممزوج بالدهشة والابتهاج الشديد، لكي يجعل المعبود المصري أي نوع من اللقاء ممكناً، لا بد أن يقول: (لا تخف)، كما ثبت في قصة الملاح الغريق وذلك لأن الآلهة عبارة عن قوي عليا، لا يمكن التنبؤ بظهورها هي غريبة في بعض الأحيان، وكما تظهر الحب والعطف، تظهر وجوهها المرعبة أيضا، وهذا ما يعرف بالتأثير الآلهي واستجابة البشر له. (هورنونج، ١٩٩٥، ٢٠٣)

يقسم الصراع بين الآلهة والبشر على قسمين: الأول يتطرق إلى الصراع الدنيوي الذي ينشأ من اعتقاد المصريين القدماء بأن الفرعون هو إله، وأما الثاني، فيتناول الصراع بين الآلهة والبشر في العالم الآخر بعد الموت لهذا العالم، تلجأ الآلهة إلى صراع نفسي مع الإنسان، إذ يجد الإنسان نفسه ضعيف المقاومة أمام عقوبات الآلهة وطرق تنفيذها، ويجدر بالذكر أن الآلهة تحتفظ بأماكن خاصة لعقاب أعدائها والمذنبين في الحياة الآخرة، ويتم في هذه الأماكن حرق الأعداء بواسطة النيران، وتُعتبر الحفر النارية أحد أشهر تلك الأماكن يتم فيها حرق الأعداء سواء بوضع الجسد بأكمله أو تقطيعه إلى أجزاء، ووفقًا لكتب (الإم دوات) (طه، ٢٠٠٥، ص٧)، تعد هذه الحفر مكاناً لإبادة الأرواح والظلال يجب أن نذكر أيضاً

الآلهة التي تمارس انتقامها في المستوى العلوي من القسم الخامس بأنها "انى تحيا على دماء الموتى ... مقطعة الاعداء" (كلارك، ١٩٨٧،٢١١)

وإن الآلهة سخمت لها دور في صراع الآلهة وإن أسم سخمت مشتق من كلمة "سخم" والتي تعني ("قوي" و " شديد") والمتسلط الذي يدل على قوة الآلهة وبأسها الشديد، فقد كانت آلهة حرب في الدرجة الأولى إذ كانت تنكل بالعدو وتسحقه، يقال عنها أن معظم صفاتها تربطها بإله الشمس، فضلاً عن ذلك كانت تدعى (عين رع) أي تصبح ممثلة عن الإله عند اتخاذ قرار ضد أعدائه، وأصبحت عين إله الشمس المدمرة التي تهاجم القوى الشريرة لمنعها من أنّ تصيب إله الشمس بأي أذى، وتصاحب الملك في كل معاركه بوصفها آلهة للحرب، إذ أصبح دورها يتلخص في الدفاع عن الأوامر الملكية والحفاظ عليها وقد عدّت رمزاً لكل الأزمات التي يلاقيها المصريون، عندما يغضب إله الخير عليهم فعندما يصيب المصريين وباءً أو خوفً او جوعً ينسبونه إلى الآلهة سخمت، فهي في قوتها وشراستها كالنار، لا تستثني أحداً عند غضبها، ولا تبقي على شيء.(الشاهري، ب.ت، ص١١٤)

تم اتخاذ قرار من قبل إلهة حتحور بإعادة استئصال البشر جميعاً، ولكن أدرك إله رع أنه يجب أن يشعر بالرحمة نحو البشر، فقام بإرسال رسله إلى جزيرة الفنتين للحصول على فاكهة حمراء اللون، وثم نكّلها وخلطها بالجعة التي قامت الخادمات بتحضيرها، مما أدى إلى الحصول على مشروب يشبه دم البشر، وفي اليوم الثاني قرّرت إلهة حتحور الذهاب لتدمير البشر قبل ذلك، أمر إله رع برش الخمر على الحقول عندما جاءت إلهة حتحور وتناولته، أصبحت ثملة ونسيت ضحاياها من البشر بذلك، تمكن إله رع من إنقاذ البشر من الدمار المحتوم، إذ كان المصريون القدامى يخشون ويحترمون إله رع، لا سيما بوجوده في العالم الدنيوي متجسدا بشخص الفرعون الحاكم، ويوجد أحيانًا صراعات تنشأ بين الآلهة والبشر، ومن المثال على ذلك ملحمة كرت، التي تظهر فيها ثلاث مراحل من الانتقام للإله الخالق. في المرحلة الأولى، نصح الآلهة الإله بأن يرسل بشخصية تفنوت، ويعتقد أن هذه المرحلة كانت مجرد إرهاب لأعداء الإله من البشر، فهربوا بمفردهم دون تعرضهم لأي ضرر. وقد يكون إرساله بصورة تفنوت كان متوافقًا مع عدم رغبته في قتل البشر ورحمته بهم. عندما أرادت الآلهة وإله رع تنفيذ الانتقام الفعلي ضد البشر، كان من الضروري أن تقوم إلهة أكثر شراسة بذلك، ويتضح من ذلك أن صراع الإله الخالق مع البشر نشأ بسبب أخطائهم، وهو ما يميز الإله الخالق برحمته وتسامحه تجاه البشر، وهذه الرحمة تتجلى في العديد من المواقف، مثل عمل المجمع الإلهي السري الذي حرّم على البشر أن يرى قلوبهم، وبالطبع تمثلت رحمة الإله رع في حماية البشرية من الغرق بفيضان عام، وكان هذا من رحمة الإله الخالق بنا، ولم يقم بذلك لإهلاكها بل لإنقاذها (سمار،٢٠٢٠،ص٢٠٨)، كما في النص التالي

"ثم شعر جلالته بالأشياء التي دبرت ضده بوساطة الجنس البشرى ، فقال

جلالته – له الحياة والفلاح والصحة ! – إلى أولئك الذين في معيته : «صلوا ،

ادعوا لى عينى) وشو وتفنوة وجب ونوة ، كذلك الأباء والأمهات الذين كانوا معى

حينما كنت فى نون) ، كذلك أيضا إلى نون . عليه إحضار حاشيته (٥) معه .

ستحضرهم خفية : لا تسمح للناس بالرؤية لا تسمح لقلوبهم بالحرب "...

يا أيها الآلهة السالفين ، أبصروا البشر الذين جاءوا إلى الوجود من عينى

أشياءاً ضدى . أخبروني ، ما الذى يجب أن تعملوه بشأنها . انظروا ، فأنا أجد في

البحث ، سوف لا أذبحهم حتى أسمع ماذ الذى يجب أن يمكن أن تقولوا

عنها». ثم قال جلالة نون : ياولدى رع ، الإله الأعظم من ذلك الذي صنعه

والأقوى من أولئك الذين خلقوه ، مستويا على عرشك ، الخوف منك عظيم.

(توجه) عينك ضدهم أولئك الذين دبروا مكيدة ضدك». ثم قال جلالة رع :

أنظر ، لقد هربوا إلى الصحراء ، أن قلوبهم واجفة ربما لإنني اتحدث إلهم . ثم

قالوا في حضرة جلالته : ليت عينك ترسل حتى تتمكن من أن تقبض لك على

أولئك الذين خططوا أشياء شريرة. (لكن) العين ليست قادرة (بقدر كاف في

ذلك لتضربهم من أجلك عليها أن تهبط كـ حاتحور»

ولهذا السبب أنت عندئذ هذه الإلهة ودعت البشر في الصحراء ثم قال جلالتة.

هذا الإله : مرحبا يا حاتحور التي صنعت من أجل المأثرة التي

جنت ثم قالت هذه الإلهة : «ما أنك تعيشي من أجل " فأنا أسود على البشر

اساشود عليهم كملك بانقاصهم وهذا سار في قلبي ثم قال جلالة رع.

سخمة إلى الوجود، عصيدة (الجمعة) التخوض في دمائهم" (جميس،١٩٦٩، ٥٦)

كان الغروب لدي المصريين القدماء يعني نهاية الحياة وايضا الغرب تعني الصحراء القاحلة لا توجد فيها حياة لذا كان المصري القديم يفضل الذهاب الي الغرب لا يجاد العدالة التي لم ينعم بها في حياة الدنيا فقد ورد في احد النصوص "**البلاد في تصدع، في انهيار، اتضحت بلاد الغرب**" اي البلد ميت يسودها الظلم والتسلط والاستبداد، وفي حوار البائس مع **روحه** "**اتوسل اليك ان تقودني الي الموت قبل ان اقدم عليه، وان تجعل الغرب بهيجا لي** " وفي هذا التمني صورة نفسية لرجل تمني الموت ورؤية العالم الآخر لغرض الصلاح والقبول علي العيش في حياة الدنيا التي كان يسودها الظلم. **(الدلفي، ٢٠٢٢، ص ٢٧٢)**

تعد أسطورة إيزيس وأوزيريس نموذجاً للآلام التي يتعرض لها البشر، وفي هذه القصة، يعد الزوجان الثانيان ست ونفتيس عاقرين، إذ يعد الزوجان الأولان خصبين ونموذجًا للعائلة المالكة، وكان أوزيريس ملكًا علي مصر؛ حيث قتل علي يد أخيه ست، والذي يمثل القوي المنظمة السلبية وبعد موته استولت ست علي عرش أوزيريس، وأما إيزيس فتُعتبر نموذجًا للزوجة والأرملة ساعدتها أختها نفتيس في تجميع أشلاء جسد زوجها التي تمزقت ولد أنوبيس، ابن آوي الذي يقال أنه ولد من علاقة غير شرعية بين نفتيس وأوزيريس، لمساعدة إيزيس في تحنيط الملك المتوفي، وبعد وفاة زوجها ولدت إيزيس ابنًا يُدعي حورس، والذي يعد إله الشمس في إدفو ويتجسد في صورة صقر، وأخفت إيزيس حورس في مستنقعات الدلتا بالتواطؤ مع الإلهة حتحور البقرة المرضعة، وعندما كبر واشتد عوده دخل في صراع مع عمه ست، وحصل علي حصته من تركة أبيه بموافقة محكمة الآلهة التي ترأسها جده الإله جب، وهذه هي الخطوط العريضة لحكم الآلهة كان يتم تغذيتها بعدد من الأساطير الثانوية أو التكميلية والتي كانت تضم ال توجد في العديد من الثقافات إلهة محلية تتصف بالقوة والقدرة علي صنع الحياة، وفي قصة الخلق يتم تناول دور هذه الآلهة وتصويرها كمبدعين للكون بأكمله، يتجلى ذلك في قدرتهم علي الدمج التوفيقي بين مجموعات الآلهة المختلفة، وهذا يؤدي إلي تشابك الأساطير وتداخلها مع بعضها البعض، ويظهر في هذا التشابك العقد المعقد للأساطير الذي يتم تسليط الضوء. (انقولا، ١٩٩٣، ص٥٤)

ويبدو أن هناك آلهة مساعدة يقع على عاتقها مهمة تنفيذ العقاب، إذ وردت إشارات إلى مسميات اثنتين من الإلهيات الاثنتي عشرة في المستوى العلوي من القسم الأول من كتاب (الإم دوات) إلى دورهن في العقوبات الدموية الموجهة ضد الآثمين في العالم الآخر، اذ يرد في النص: الذباحة قاطعة رؤوس المتمردين.

أما الطريقة الثانية للانتقام من أعداء الإله فهي الذبح أو قطع الرقبة، وتُعدّ تلك الآلية التي استخدمتها الإلهة للثأر من أعدائها من البشر أكثر الطرق انتشاراً في مملكة الموتى، وربما تكون مستوحاة من تصورات الإنسان المصري القديم في صراعاته الدنيوية ولاسيما الملوك، فكما كان الملك ينهي صراعه مع أعدائه بالانتقام منهم عن طريق ذبحهم أو فصل رقابهم، نرى الإلهة تستخدم الآلية نفسها للثأر والانتقام من أعدائها، ولعل ما يؤكد ذلك وجود هذه المناظر ممثلة على صلاية الملك (نعرمر) (٣١٠٠ ق.م) وعلى أحد جوانبها مشهد يمثل الأعداء راكعين مفصولي الرأس ورؤوسهم موضوعة بين أقدامهم، فضلاً عن نصوص الأهرام التي وردت فيها إشارات إلى استخدام الذبح وقطع الرقاب وسيلة للانتقام من الأعداء، وهذا ما تجلى في صراع الإله (أوزير) تشير إحدى فقرات متون الأهرام إلى ما يلي:

"أمسك جحوتي بأعدائك وذبحوا بين الذين هم أتباعه، الذباحون يقبضون على سكاكينهم بينما تعنى الإلهات بالأجساد المقطعة" (سمار،٢٠٢٠،ص٢٠٨)، هذا ولا يمكن تلخيص ما عرفناه حتى الآن عن تصرفات الآلهة المصرية بأفضل من سطور جوته الخالدة من (حدود البشرية)

"ماذا يفصل ويميز

الآلهة عن البشر ؟

تتدفق الأمواج عديدة قريبة

أمام الآلهة،

نهراً لا ينتهى

تبتلعنا موجة

ونحن نغرق ونغرق"

تتدفق الأمواج من آلهة مصر، وتتقاذف البشر في وسطها الآلهة العظيمة والقوية تهزاً من غرور البشر واستعلائهم الآله هو الفعّال، الذي لا يمكن أن يطرد من السماء أو من على الأرض هو البناء العظيم الذي يُخَلِقُ في يديه البشر من الطين والقش، ومن الواضح أن المصريين لم يجربوا التشوق إلى الوحدة مع المعبود فهم يكتفون عندما يقتربون من الآلهة، لأنه لا يمكن لأي شخص الاقتراب منهم أكثر من ذلك بدون أن يُعاقَبَ، وعلى الرغم من أن آمالهم في العالم الآخر تكمن في أن يصبحوا مثل أي إله، وتسندهم إحدى وظائف الآلهة العظيمة، إلا أنهم يؤثرون في تقدم العالم بأنفسهم (إريك، ١٩٩٥، ٢١٣)، وتعرف مصر على أسطورة ثورة البشر ضد الخالق الذي قرر القضاء عليهم بناءاً على مشورة مجلس الآلهة، وفي هذه الثورة تم إرسال عين الخالق على شكل إلهة تُدعى (حتحور)، وهي مبعوثة الغضب الإلهي في يومٍ واحدٍ، افترست حتحور جزءاً من البشر، ثم استلقت للنوم، ورأى إله الشمس رع أن يكتفى بتلك العقوبة، لذا قام خلال الليل بسكب الجعة التي اختلطت بمياه النيل، حتى يصبح لونها كالدم عندما استيقظت (حتحور)، بدأت تلعق هذا الشراب حتى فقدت، وبهذه الطريقة، نجت البشرية، ولكن بعد أن خاب ظن رع فيها، قرر الانسحاب إلى السماء، إذ استقر فوق ظهر البقرة السماوية التي يحملها إله الجو شو، وسلم إدارة شؤون الأرض إلى إلهة الروحانيات تحوت، وكما سلم رموز الملكية التي تتمثل في الثعابين، إلى إله الأرض (جب)، وبهذا تم فصل الآلهة عن البشر نهائياً، ولا رجعة فيه، سبق وأن تم الفصل بين

المخلوقات الإلهية والبشر من قبل، لكن الآن تمت إعادة الفصل بشكلٍ نهائي كان كل شخص كانت له مكانة محددة في الكون الجديد الذي كان يتسم بمكانة جديدة وزمان جديد، وتروي لنا أسطورة قصة تهدئة الغضب بواسطة إلهة بعيدة: في سورة غضب هناك لبؤة تهدد سكان منطقة النوبة بالرعب، ولذا تم إرسال رع مبعوثاً ليأخذها ويعيدها إلى مصر بعد أن يهدئها ويحولها إلى قطة، وقد اختار إله الشمس هذه القطة لتكون حافظته الشخصية (انقولا، ١٩٩٣، ص٥٥)

وكان السبب الرئيس لصراع المعبودات مع البشر في العالم الآخر هو أنهم كانوا يعملون ضد النظام الذي وضعه الإله الخالق، وأيضاً ضد إرادة الآلهة فقد أظهروا الآلهة بالمعاصي والذنوب في العالم الدنيوي والأخروي، وألحقوا الأذى والضرر والألم بالإله (أوزير)، إذ أنهم أحياناً اتخذوا دور الإله (ست) وجعلوه يتعرض للأذى والضرر، وقد قاموا بأفعال تتعارض مع إرادة الآلهة، وليس هؤلاء الأعداء راضين عن معارضة (أوزير) فحسب بل توسعت أعمالهم لتشمل (رع) وحتى الموتى الصالحين.

وفقا الوصف من (كتاب الأرض) لمكان الذبح في القسم الرابع، يدين تظهران من الأرض تحملان غلاية تحوي رؤوساً وأجزاءً من أجساد الأعداء تمثل اليد الأولى يد الفرن، وبينما تمثل اليد الأخرى الجسد تنبعث اللهب من كل رأس، ويصل إلى المراجل النارية هناك إلهان يحملان سكيناً يشرفان على تنفيذ العقاب، وبينهما نرى إلهتين ينحنيان فوق قلبٍ ضخم، معبرتين عن حماية هذا القلب المقدس (سمار،٢٠٢٠،ص٢٠٠)، إذ يذكر في النص:

"إنّ القيود التي في أذرعكم يا أعداء أبي إن أيديكم مقيدة برؤوسكم يا أيها الأشرار إنكم مقيدون من خلاف، إنكم المذنبون مقطوعو الرؤوس، ويجب أن تفنوا إن أرواحكم يجب أن تعدم ولا تحيا بسبب ما اقترفتموه ضد والدي أوزير... إنكم عدو أيها الأشرار" (فليب، ب،ت، ص٧٨)

من الجدير بالذكر أن الآلهة عملت على إبادة أعداء الآلهة من البشر عند نزولهم إلى العالم السفلي، حتى لا يلحقوا بقارب الشمس، ويحدثوا الأضرار به، فلقد كان انتقامهم وصراعهم مع هؤلاء البشر من أجل إبادتهم إبادة تامة، وكان ذلك يتم أولًا عن طريق تقييد الأعداء في مرحلة أولى حتى تأمن الإلهة شرهم من اللحاق بمركب الإله رع في رحلته الليلية، تلي تلك المرحلة عملية إبادتهم عن طريق النار أو الذبح وفصل رؤوسهم عن أجسادهم، وأن الغرض الأساس من هذا الصراع هو إفناء أعداء الآلهة من البشر عند نزولهم إلى العالم السفلي كما يفنى (أبوفيس) (Apophis) عدو النظام الشمسي، رمز القوى الفوضوية، ولكي تقضي الآلهة على هذا الكيان الشرير المتمثل في تلك الفصائل من البشر، حرصت على إبادتهم ومحوهم بالكامل بدايةً من الاسم، والظلال والأرواح. وأيضاً التأكد من عدم وجود أي طرق للمساس بالنواة الأساسية لهذه الفضائل وعدم تمكنها من العصيان مرة أخرى من خلال أبنائهم، وهو ما يؤكده تصويرهم بدون الأعضاء التناسلية التي تسمح لهم بالإنجاب (سمار،٢٠٢٠،ص٢٠٤)

وفى مواجهة القسوة المرعبة للآلهة، والتى لم تهدد في النصوص الجنائزية القديمة الآثمين فقط، بل تعتبر خطرا عاما في الحياة الآخرة، يحمى الإنسان نفسه بالطقوس التى إذا ما أداها بشكل سليم يبطل أثر الوجه الخطر للمعبود وتضمن أن العالم سيستمر بطريقة منظمة صحيحة وملائمة، ومنذ نصوص الأهرام أقدم مجموعة تعاويذ للحياة الآخرة ، نجد أيضا دعوات واستغاثات من الميت إلى مختلف الآلهة أن تحميه من جميع أخطار وعوائق العالم الآخر، وأن توقف وتمنع الآلهة الأخرى أو الموتى من البشر أن تؤذيه، ومن الممكن أن يرتفع هذا النوع من التوسلات إلى مستوى التهديد الموجه للآلهة وهو شكل مختلف جديد ومدهش فى العلاقة بين الإله والإنسان (إريك، ١٩٩٥، ٢١٢)

" **أيها المذبوحين، الذين ليس لهم رؤوس، الذين في مكان التدمير، يا من سقطتم إلى اسفل، وليس لهم أرواح في مكان التدمير، أيها المقلوبون، المقيدون الذين في مكان التدمير، إيها المقلوبون، الدامية أجسادهم، والمنتزعة قلوبهم في مكان التدمير**"

يمكن تقسيم النص إلى فقرات متعددة على النحو التالي:

الفقرة الأولى: يتحدث النص عن دور الآلهة الأربعة الذين يحملون السكاكين، وكيف أنهم يقومون بالانتقام من هؤلاء الأعداء، **والفقرة الثانية:** يتناول النص السبب وراء الانتقام الشديد الذي يتعرض له هؤلاء الأعداء، ويرجع السبب إلى قيامهم بإثارة القلق والمتاعب وارتكاب الآثام في العالم الآخر، ربما حتى في حق الإله (أوزير) **الفقرة الثالثة:** يبدأ النص بوصف تسليم هؤلاء الأعداء إلى أماكن الذبح التي تخص الإله (أوزير)، مما يدل على أنهم تسببوا في المتاعب لهذا الإله في العالم الآخر، وقد تحدوا الإله بالآثام التي ارتكبوها، وبالتالي يتحقق انتقام الإله عن طريق الإلهة المعنية بتصفية حساباتهم، **الفقرة الرابعة:** تشير متون التوابيت إلى رعب العصاة والأعداء من أماكن الذبح وخوفهم من دخولها، **الفقرة الخامسة** الفقرة بالحديث عن تفاصيل المكان وتفاصيل الرعب الذي ينتاب العصاة والأعداء من الدخول إليه. (سمار، ٢٠٢٠،ص٢٠٧)

تخيل المصريون أن على المتوفى في العالم الآخر ان يسلك طريقين: الأول **مائي** والثاني **بري** وبينهما نار مشتعلة يهوى فيها المتوفي اذا لم يتمكن من السير في السبيل الذي سلكها وكان عليه ان يسير في الطريق الذي اختاره ولا يلتفت يمينا ولإيسارا، وكان عليه أن يقابل في السبيلين أهوالا كثيرة ومخلوقات وحراساً برؤوس مخيفة تقف في وجه كل من لا يعرف الصيغة، فإذا عرفها وتلاها أمام الحارس هيأ له الطريق وسمح له بالمرور إلى حيث توجد حقول (اوزير)، عند ذلك تنعم روحه التي ترافق الشمس في رحلتها الى الشرق والغرب والى العالم السفلي دون غيرها من جبانات الأقاليم.
(زناتي، ٢٠٠٨، ص٧٧)

من أهم ملامح الاستبداد في مصر القديمة وهي قتل الاحياء لغرض مرافقة الاموات وهي تجري هذه العادة عند احد الملوك بدفن بعض افراد عائلته وخدمه وهم على قيد الحياة لكي يؤدوا له في العالم الاخر نفس الخدمات التي كانوا يقدمونها له في الحياة وظلت هذه العادة مستمرة طوال عهد الاسرة الاولى حتى اخر ملوكها وهو الملك (قاعا) الذي حظر هذه العادة وتحديدا في الجزء الشمالي من البلاد ثم انتشر الحظر الى باقي البلاد(السعدي،١٩٩١، ص٢٧٧)

أنّ أكبر هدايا الإله أهمية إلى الجنس البشرى، لذلك نجد من أواخر الدولة الحديثة مناظر الإلهيات الحاميات التي تدفع الهواء بأجنحتها إلى المتوفى، لأن الهواء هو الحياة وفى مناخ مصر الصحراوي الجاف نجد نسمة ريح الشمال تحيى وتنعش ، وهذا يعنى الحرف الهيروغليفي المعبر عن الحياة (عنخ)، وهو أكثر الرموز الممسوكة بأيدي الآلهة شيوعاً أنها تملك الحياة وتنشرها ونجد الحياة ممسكة بها أيدى الآلهة المصرية بدرجة واضحة موجهة إلى كل الكائنات الحية، وليس للجنس البشرى فقط وفي الدولة القديمة تبين نقوش المقابر كيف أن عناية الخالق تؤثر في كل ما في الطبيعة وتمده بالغذاء حتى النملة في عشها، وفي التراتيل الشمسية في الدولة الحديثة نجد صورة الجنين في بطن أمه الفرخ الصغير في البيضة) الذى يجعله إله الشمس قادرا على التنفس والبقاء حياً، وأكثر تعبير مطلق عن: الجوهر الداخلي، لاهتمام الآلهة الدائم بالعالم فهو يتخلل عالم الخليقة كله، كما تفعل أشعة الشمس؛ ويعلن أخناتون في ترتيله العظيم لأتون قائلا: "أشعتك تغلف كل الأراضي إلى أبعد نهاية أي شيء خلقته وفى نفس الوقت"، ابتكر فنانو أخناتون رمز قرص الشمس بالأشعة، وهو أكثر الرموز إثارة والتي تدل على العناية المحبة من إله الشمس الذي يعنى ضوءه الحياة لأنه يمد

العالم بأسبابها، وتنتهى أشعة قرص الشمس الممتدة بعيداً بأيد بشرية تمسك برمز الحياة حتى أنوف الأسرة الملكية، وتصور هذه الصورة الضوء في وضوح كبير على أنه حامل نسمة الحياة . والضوء هو الحياة، حتى في عالم الموتى المظلم الذى يمر فيه إله الشمس. (إريك، ١٩٩٥، ٢٠٠٦)

الخاتمة والاستنتاجات:

من خلال ما تقدم، يمكن القول أن الاستبداد الإلهي ضد البشر في تاريخ مصر القديمة يعكس تحولات فكرية ودينية معقدة كانت تتجسد في العقوبات الإلهية والعلاقة بين الإنسان والآلهة. على الرغم من أن الآلهة كانت تُعتبر قوى خارقة ومتسلطة، فإن المصريين القدماء لم يتجاهلوا الجوانب الإنسانية في تعاملاتهم مع الآلهة. الصراع بين الآلهة والبشر كان يشمل أبعادًا دينية وميتافيزيقية، حيث كان البشر يعيشون تحت تأثير الآلهة، التي تحدد مصيرهم في الحياة الدنيا والآخرة.

تجسد الأساطير والمعتقدات الدينية للمصريين القدماء هذا الاستبداد الإلهي كعنصر أساسي في تكوين وتوجيه المجتمع المصري، حيث كانت الآلهة تمارس دورًا مباشرًا في قرارات الحياة والموت. ومع ذلك، فقد كانت هناك فترات تظهر فيها الرحمة والعدل الإلهي، حيث يتم التغاضي عن العقوبات القاسية في بعض الأحيان، وهذا كان يعكس تعقيد العلاقة بين الإنسان والقوى الإلهية.

من خلال دراسة هذه الأساطير والنصوص، نستطيع أن نفهم كيف أن مفهوم الاستبداد الإلهي كان جزءًا من رؤية دينية شاملة تفاعلت مع حياة المصريين وقراراتهم المصيرية، وكيف أن الآلهة، على الرغم من قسوتها أحيانًا، كانت تمثل أيضًا الأمل في الخلاص والتسوية بعد الأزمات.

وفي الختام، تعد دراسة الاستبداد الإلهي ضد البشر في مصر القديمة فرصة لفهم أعمق للكيفية التي تعاملت بها الحضارة المصرية مع مفاهيم القوة الإلهية، الخوف، والرحمة، وكيف شكلت هذه المفاهيم فهم الإنسان لمصيره في الحياة والموت.

المصادر :

١- سمار، سعد عبود، سهاد، علي عبد الحسين (٢٠٢٠) صراع الآلهة مع البشر في المعتقدات المصرية القديمة، مجلة التربية كلية واسط، مجلد، جامعة واسط، كليـــة التربيـــة، العدد الأربعون، ج/٢ / آب

٢- السعدي، حسن محمد محيى الدين(١٩٩١)، حكام الأقاليم في مصر الفرعونية، دراسة فـي تاريخ الأقاليم حتى نهاية الدولة الوسطى ، دار المعرفة الجامعية ، ٤٠ شارع سوتر، الأزريطة – الاسكندرية .

٣- الخفاجي علي مزهر،(٢٠١٦)، مصر القديمة بين نظام الحكم المركزي ونظام الحكم اللامركزي، (بحث منشور)، مجلة الآداب، العدد ١١٩ (٣١ ديسمبر/كانون الأول.

٤- نقولا جريمال،(١٩٩٣) تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر جويجاتي، مراجعة د.زكية طبوزادة، ط ٢، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.

٥- اريك هورنونج،(١٩٩٥) ديانة مصر الفرعونية الوحدانية والتعدد، ترجمة: د. محمود ماهر طه، مصطفي ابة الخير، مكتبة مدبولي، مصر – القاهرة.

٦- إيزابيل فرانكو ،(٢٠٠٥)، أساطير وآلهة، ترجمة: محمود ماهر طه القاهرة.

٧- رندل كلارك، (١٩٨٧)، الرمز والاسطورة في مصر ، (ت): احمد جوبلي ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة.

٨- الشاهري، سعد جابر طه(ب،ت)، رموز أهم الالهة في مصر القديمة دراسة دلالية تاريخية،

٩- جميس ، بريتشاد،(١٩٦٩)، نصوص الشرق الادنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم ، ت عبد الحميد زايد ،وزارة الثقافة هيئة الاثار المصرية.

١٠- الدلفي، نجم عبيد مرعيد، الرمز في ادبي العراق ومصر القديمين.

١١- فليب، ما ندنبرغ،(ب، ت)، لعنة الفراعنة، ترجمة خالد اسعد عيسى، احمد غسان، ط١، دار قتيبة للطباعة والنشر دمشق،

١٢- زناتي، محمود سلام ، حقوق الانسان في مصر الفرعونية.

١٣- السعدي، حسن محمد محيى الدين، حكام الأقاليم في مصر الفرعونية، دراسة فى تاريخ الأقاليم حتى.